سلسلة الشخصيات (2)

الخليفة الراشد

على بن أبى طالب

وأهل البيت، مكانتهم عند أهل السنة والجماعة



محمد عز الدين الغريانى

سلسلة الشخصيات

(2)

الخليفة الراشد

على بن أبى طالب

وأهل البيت

مكانتهم عند أهل السنة والجماعة

بقلم

محمد عز الدين الغريانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،،،

فقد اصطفى الله نبينا محمداً ﷺ على جميع من سواه من العالمين، وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين، وبارك له فى صحبه وبيته وآله المطهرين .

فهو ولاريب البركة الكاملة، والرحمة العامة الشاملة، والشجرة التى تؤتى أُكلها كل حين بإذن ربها .

وإن من أطيب هذا الأُكل الطيب عترته الطاهرة، وأهل بيته المكرمون الذين ابتدؤا من بيت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وبعلها الكريم، الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضي الله عنه، هذا البيت الذى يعتبر من أكرم البيوت بعد بيت رسول الله ﷺ .

قال سيدنا على بن ابى -كرم الله وجهه :

وبنت محمد سكنى وعرسى .·. منطو لحمها بدمى ولحمى
وسبط أحمد ولداى منها .·. فأيكم له سهم كسهمى[١]

وقال الحسن البصرى عن أهل الحسين بن على بن أبى طالب: «والله ما على ظهر الأرض يومئذ أهل بيت يشبهونهم ، قال سفيان: ومن يشك فى هذا.[٢]

قال الفرزدق :

لايستطيع قوم بعد غايتهم
ولايدانيهم قوم وإن كرموا

ولقد أجمع أهل السنة والجماعة على محبة أهل البيت وتعظيمهم وتوقيرهم، وكان سندهم فى الإجماع :

١- الأمر بمحبتهم :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ قالوا: يارسول الله، من قرابتك

١- كنز العمال رقم ٣٦٣٦٦

٢- مجمع االزوائد ٩ , ٢٠١

هؤلاء، الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: على ، وفاطمة ، وابناهما رضي الله عنهم .(١)

٢- شهادة الله لهم بالطهارة:

أخرج أحمد ومسلم وابن أبى شيبة وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة ، وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين، فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها معه، ثم جاء على ، فأدخله معه، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾﴾ .(٢)

٣- الطمع فى دخول الجنة ومرافقتهم فيها:

عن على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسن والحسين فقال :﴿من أحبنى وأحب

١- فى سند هذا الحديث قيس بن ربيع وثقه شعبه وغيره، انظر المعجم الكبير للطبرانى، وهامشه رقم ١٢٢٥٩ .

١- فتح القدير ٤ ,٢٧٩ . سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٣

هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة﴾ .[١]

قال الحسين بن على رضي الله عنه : ﴿من دمعت عيناه فينا دمعة، أو قطرت عيناه فينا قطرة أثواه اللّه عز وجل الجنة﴾ .[٢]

٤- لأنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن سعد رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآيات ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلى .[٣]

٥- الأمر بالإقتداء بهم:

عن أبى سعيد رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ﴿إنى أوشك أن أدعى فأجيب، وإنى تارك فيكم ثقلين: كتاب اللّه، وعترتى، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل

١- فى إسناده على بن جعفر لم يذكر بجرح ولاتعديل، قال الترمذى هذا حديث حسن غريب، وإنكار الذهبى فى الميزان أن يكون الترمذى حسنه، إنما كان سببه أن التحسين ثابت فى بعض نسخ الترمذى دون بعض، كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد ، وهامشه رقم ١١٨٥ .

٢- المرجع السابق رقم ١١٥٤ .

٣- مسلم - النووى ، ١٥ ,٧٦ .

بيتى، وإن اللطيف أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا بماذا تخلفونى فيهما﴾ .[١]

قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٢]، وقال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ .[٣]

ولاعجب فى هذا الأمر، فقد كان من نعمة الله عز وجل على علّى بن أبى طالب، أن مرحلة التهذيب والتقويم عنده بدأت فى بيت رسول الله ﷺ عندما أصابت قريشاً أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بنى هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه، فقال: العباس: نعم، فإنطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: أبو طالب : إذا

١- مسلم وأحمد والترمذى .

٢- الأنعام، آية رقم ٩٠ .

٣- سورة لقمان، الآية رقم ١٥ .

تركتما لى عقيلاً، فأصنعا ماشئتما، وفى رواية [عقيلاً وطالباً] فأخذ رسول اللّه ﷺ عليّا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل على مع رسول اللّه ﷺ حتى بعثه اللّه تبارك وتعالى، فاتبعه علّى وآمن به وصدقه،[1] وبدأ يتعبد اللّه معه ومع السيد خديجة رضي الله عنها.[2]

وللبيئة الصالحة عملها الفعال فى تغيير الإنسان، فالإنسان ابن بيئته، ووليد مجتمعه، ولهذا جاء فى حديث الرجل الذى قتل مائة شخص، وأراد أن يتوب «اخرج من القرية الخبيثة التى أنت فيها، إلى القرية الصالحة».[3]

وعبارة الصحيحين: «انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها إناساً يعبدون اللّه تعالى، فاعبد اللّه معهم».[4]

لأن العواطف النبيلة والتدين ينشآن فى أحضان

١- سيرة ابن هشام ١ ,٢٦٣

٢- رواه أحمد ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٩ ,١٠٦

٣- حديث صحيح ، مسند الإمام أحمد، مع الفتح ١٩ ,٣٤٣ .

٤- البخارى ٦ ,٥١٢ مسلم ١٧ ,٨٤

المجتمعات، فحينما يشب الفرد، ويجد قومه وقد سيطرت عليهم عاطفة دينية خاصة، ينساق فى تيارهم، ويدين بما يدينون به، ويقلدهم فى كل مظهر من مظاهره، ثم لايلبث أن يؤدى به إيحاؤهم له، ومحاكاته لهم، إلى أن يصدر عنه مثل ذلك، تحت عاطفة خاصة، لاتقل صدقاً ولارقة عن عواطفهما،(١) وصدق رسول الله ﷺ حين يقول: ﴿الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالط﴾.(٢)

فـائـدة:

عن بشر الحافى -رحمة اللّه عليه- قال: رأيت النبى ﷺ فى المنام، فقال لّى: يابشر، أتدرى لم رفعك اللّه من بين أقرانك؟ قلت لا يا رسول اللّه، قال: فبإتباعك سنتى، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابى، وأهل بيتى، هو الذى بلغك منازل الأبرار.(٣)

١- الدوافع النفسية: مصطفى فهمى ١٠١ .
٢- إسناده صحيح مسند الإمام أحمد مع الفتح ١٩ , ١٥٢ .
٣- الرسالة القشيرية ص ١١ .

الآيات التى أنزلت فى علّى رضي الله عنه

من الآيات التى نزلت على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم والتى تشمل الخليفة الراشد -كرم الله وجهه- :

☐ قوله تعالى : ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ قال علّى بن أبى طالب: فينا واللّه أنزلت .(١)

☐ قوله تعالى : ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾(٢) . عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿قالوا: يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: على وفاطمة وابناهما﴾ .(٣)

☐ قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)﴾ .(٤)

١- فضائل الصحابة للإمام أحمد رقم ١٠٨١ .

٢- ورد هذا عن الحسن البصرى، وقد صحح الحافظ السيوطى سماعه من على.

٣- سبق تخريجه .

٤- سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٣ .

□ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾ أخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت فى علَّى بن أبى طالب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾، قال: محبة فى قلوب المؤمنين وورد مثله عن البراء.[١]

□ قوله تعالى : ﴿أفمن كان مؤمناً كما كان فاسقاً لايستوون﴾ أخرج ابن اسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نَزلّت بالمدينة فى علّى بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط قال: كان بين الوليد وبين على كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأرد منك للكتيبة، فقال علّى: رضي الله عنه اسكت فإنك فاسق، فأنزل اللّه ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون﴾ الآيات كلها.

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى مثله، وكذلك عن ابن أبى ليلى، وأخرجه ابن عساكر، من طرق وأبو الفرج

---

١ - الدر المنثور ٤ , ٣١٥ .

الأصبهانى والواحدى وابن عدى وابن مردويه والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهم . (١)

مظاهر المحبة عند أهل السنة

تعددت التعبيرات عن محبة آل البيت عند أهل السنة والجماعة ومن هذه التعبيرات :

١- الحرص على مصاهرتهم:

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم كلثوم بنت علّى بن أبى طالب، ثم أتى المهاجرين، فقال: ألاتهنئونى، فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ قال: بأم كلثوم بنت علّى، وابنة فاطمة بنت رسول اللّه، إنى سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببى ونسبى، فأحببت أن يكون بينى وبين رسول اللّه سبب ونسب . (٢)

١- الدر ٥, ١٩٢ .

١- أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح غيرالحسن بن سهل، وهو ثقة مجمع الزوائد ٩ .

٢- العناية بنشر فضائلهم والدفاع عنهم :

جاء فى فتح البارى على البخارى: قال أحمد وإسماعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى: لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر ما جاء فى علَّى، وكان السبب فى ذلك أنه تأخر ووقع الإختلاف فى زمانه، وخروج من خرج عليه، فكان ذلك سبباً لإنتشار مناقبه، من كثرة من كان بينهما من الصحابة رداً على من خالفه، فكان الناس طائفتين لكن المبتدعة قليلة جداً، ثم كان من أمر على ما كان، فتقحمت طائفة أخرى حاربوه، ثم أشتد الخطب تفتنقصوه وإتخذوا لعنة على المنابر سنة، ووافقهم الخوارج على بغضه، وزادوا حتى كفروه، مضموماً ذلك منهم إلى عثمان، فصار الناس فى حق علَّى ثلاثة :

- أهل السنة .
- والمبتدعة من الخوارج .
- والمحاربين له من بنى أمية وأتباعهم .

فإحتاج أهل السنة إلى بث فضائله، فكثر الناقل لذلك .[١]

٣- الحفاوة بهم :

لم يعهد المسلمون الإستقبالات الشعبية الحاشدة إلا لرسول الله ﷺ يوم قدم مهاجراً، ولآل بيته يوم قدموا مصر إحياء وأمواتاً.

- فقد خرج الناس ومعهم الفقهاء والعلماء ورجال الدولة فى محفل عظيم لإستقبال رأس الحسين رضي الله عنه يوم نقل من عسقلان إلى القاهرة، يتقدمهم الوزير الصالح طلائع بن زريق .

- وكذلك فعلوا مع السيدة زينب بنت علّى رضي الله عنها عندما قدمت لمصر فى أول شعبان سنة ٦١هـ، خرجوا إليها حفاة خاضعين، يتقدمهم الولاة والفقهاء وكبار الأمة، وبقيت معززة مكرمة إلى أن توفيت سنة ٦٢ هـ.

وبعد وفاتها بسنة اجتمع أهل مصر، ومعهم وجهاؤهم

١- (٨, ٧٢) .

وفقهاؤهم وقراؤهم، وأقاموا لها موسماً حافلاً، هو المولد الزينبى، الذى لايزال إلى اليوم يقام فى أول رجب إلى منتصفه فى كل عام .

- ويوم قَدِمَت السيدة نفيسة فى ٢٦ رمضان ١٩٣هـ خرج أهل مصر من النساء والرجال للقائها، وتلقوها بالهوادج والخيول، وهم يهللون ويكبرون .

وكان أهل مصر يأتون إليها من مختلف أرجاء البلاد لزيارتها والتبرك بها، وكان من ضمن هؤلاء الناس الإمام الشافعى، والإمام عثمان بن سعيد المصرى، وذو النون المصرى، والإمام أبو بكر الأدفوى صاحب كتاب التفسير الإستفتاء فى علوم القرآن، وأبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد صاحب كتاب إعراب القرآن فى عشر مجلدات، وابن الخشاب، وغيرهم كثير .[1]

وبعد أن توفيت إتخذ الناس قبرها مزاراً، قال المقريزى

١ - أنا من سلالة أهل البيت للشيخ الشعراوى ٥٦،٧٣،٨٣ - ٨٤،١٠٥ - ١٠٦

فى كتابه الخطط: ذكر غير واحد من علماء الأخبار بمصر، أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف، وقد زار قبرها من العلماء والصالحين خلق لايحصى عددهم .(١)

٤- إشهارهم ليعرف الناس قدرهم :

وقع الإصطلاح على إختصاص أهل البيت من بين ذوى الشرف بالشطفة الخضراء أيام المأمون العباسى، ثم إنقطع آواخر القرن الثامن، فأمر السلطان الأشرف سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أن يمتازوا عن الناس بعصائب خضر على العمائم، ففعل ذلك بمصر والشام .(٢)

وفكرة التمييز بالملابس من أجل الإحترام ودفع الأذى فكرة نشأت من النص القرآنى الذى أمر الحرائر أن يتميزن عن الإماء فى لبسهن خشية إيذائهن ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾ قال ﷺ ﴿من آذى عليا

١- الخطط ٢،٤٤٢
٢- السيرة المرضية ٢،٩٤ .

فقـد أذانى﴾، [1] وقال : ﴿إنا فـاطمة بعـضة مني يؤذنـى ما آذاها، وينصبنى ما أنصبها﴾ . [2]

وذريتهما مثلهما: عن عبيد اللّه بن أبى رافع عن المسور، أنه بعث إليـه حسن بن حـسين يخطب أبنة له، فقـال له: قل له فليأتنى فى العـتمة، قال فلقـيه، فحمد اللّه المسـور، وأثنى عليه، وقـال: أما بعـد، أما واللّه مـا من نسب ولاصهـر أحب إلّى من نسبكم وصـهركم، ولكن رسول الله ﷺ قـال فاطمة مضـغة منى، يقبضنى ماقبضـها، ويبسطنى ما بسطها، وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسـبى وصهرى، وعندك أبنتها، [3] لو زوجتك لقبضها ذلك . [4]

١- رواه أحمد ورجالة ثقات مجمع الزوائد ٩،١٣٢ .

٢- المرجع السابق والجزء والصفحة .

٣- يقصد بها زوج الحسن بن الحسن بن على، فاطمة بنت الحسين بن على .

٤- فضائل الصحابة ١٣٣٣ وإسناده صحيح لغيره انظر هامش الفضائل لوصى اللّه بن عباس .

تمييز قبور آل البيت:

ومن هذا التميز بين الأشراف وغيرهم فى اللباس والمقام، نشأت فكرة تمييزهم عن غيرهم بعد الوفاة، بإنشاء مقامات لهم، يتميزون بها عن باقى الأموات، إقتداء برسول الله ﷺ حين ميز قبر الرجل الصالح عثمان بن مضغون دون سائر القبور بحجر عظيم.(١)

واستمر هذا التمييز من بعده، فعن خارجة بن زيد قال: رأينى ونحن شبان فى زمن عثمان رضي الله عنه وإن أشدنا وثبة الذى يثب «يقفز» قبر عثمان بن مضغون حتى نجاوزه.(٢)

فإن قلت: كيف تجوز هذا وقد نهى ﷺ من البناء على القبور؟ والجواب بإحدى الطريقتين:

الطريقة الأولى:

أن النهى عن البناء على القبور، ليس تكليفاً تعبدياً غير معقول العلة بالإتفاق، بل هو حكم عام معلل بعلة يوجد

١- السنن الكبرى ٣،٤١٢. ٢- شرح السنة للبغوى ٥،٤٠٤.

عندها، وينتفى بإنتفائها، والعلل المتوقعة فى النهى :

١ - خوف التشبيه بالنصارى الذى يبنون على قبور موتاهم، والرسول ﷺ يقول : ﴿من تشبه بقوم فهو منهم﴾ .

والقائل بهذه العلة يجب عليه أن يأخذ بعين الإعتبار، أن قاعدة منع التشبه باليهود والنصارى فيها إستثناءات تلغى هذا الخوف، منها ما يدل عليها الحديث الشريف المتفق على صحته ﴿أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى عليه السلام، فقال: أنا أحق بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه.(١)

ويستفاد من هذا الحديث أن المشابهة إذا كانت تتعلق بتعظيم المقدسات والشخصيات الدينية فلايمنع منها، إذا لم يقل لهم رسول الله ﷺ مادمتم تفرحون بنجاة موسى، فسأنهى أمتى عن التشبه بكم، بل هو العكس من هذا، فعل مثل فعلهم،

---

١ - نيل الأوطار ٤، ٢٧٠ .

وشاركهم فى هذا التعظيم .

ثم إن التشبه فى البناء يلغيه أى فارق نحدثه فى البناء على الرجل الصالح، كما فعل رسول الله ﷺ حين شارك أهل الكتاب فى صيام عاشوراء، حيث أمر بصيام اليوم التاسع منه مفارقة لهم .

٢- خوف تداعى القبر بما عليه، وعليه لو إتخذت إجراءات تقوية القبر ومضاعفة إحتمالة إنتفت هذه العلة وإنتفى الحكم تبعاً لها .

٣- خشية البناء بما مسته النار، إستناداً إلى ما جاء عن سليمان عن ثابت بن يزيد قال: حدثنى حمادة عن أنيسة بنت زيد بن أرقم، قال: قالت: مات ابن لزيد يقال له سويد، فإشترى غلام له أو جارية جصا وآجرا، فقال له زيد: ماتريد إلى هذا؟ قال: أردت أن أبنى قبره وأجصصه، قال: جفوت ولغوت، لاتقربه شىء مسته النار .(١)

١- قضايا الوسيلة والقبور ١١٤ .

- فهذا خاص ببناء القبر نفسه لابما يبنى عليه حوله .

ولهذا جوّز السلف الصالح أن تبنى الحجرة التى يوجد فيها قبر النبى ﷺ فى عمليات التجديد .

٤- تضييع هذف المحبس الذى يبتغى كثرة الأجر بكثرة المدفونين فى مقبرته، والبناء على القبور يفوت له هذه المصلحة، وهذه العلة تصلح لمنع البناء على قبر الرجل العادى الذى لايرجى النفع من إشهاره، قال ابن مفلح -من أئمة الحنالبة- فى المستوعب والمحرر: القبة والبيت إن كانا فى أرض موقوفة كره للتضييق بلافائدة .

والبناء على قبر الرجل الصالح يحقق غرض الواقف من التحبيس، من حيث كثرة الدفن فيما حبسه وديمومته، لأن الناس عبر الأجيال يبحثون عن مجاورة الرجل الصالح تيمناً بجواره، ولهذا استحب الإمام السيوطى وجماعة من العلماء البناء على قبور الصالحين .(١)

١- المرجع السابق ١١١ - ١١٤ .

الطريقة الثانية :

- أم المقامات المشيدة فيها شيئان :

١- إحداث العلامة المميزة على القبر من شباك وغيره، إستناداً إلى العلامة التى جعلها رسول اللّه ﷺ على قبر عثمان بن مضعون، ولايشترط فى التمييز علامة معينة .

٢- بناء القبة التي ينتفع بها الأحياء من حر الصيف، وقر الشتاء قياساً على الحكم الشرعى الذى يجوز إلغاء المقبرة من أجل إنتفاع الأحياء بالطرق وغيرها، فكل مافيه نفع للأحياء يجوز إحداثه فى المقبرة .

دوافع زيارة القبور :

فإن قلت ما ضرورة هذا العمل وما موجباته؟

فالجواب :

- إن الشريعة حثت على زيارة قبور الصالحين من أجل :

(أ) قبول الدعاء عندهم، قال اللّه تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا

قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ .(١)

فسيدنا زكريا -عليه السلام- حينما علم بقربها من اللّه إعتماداً على قولها وماشاهده من عناية اللّه بها، دعا بأن يرزقه اللّه الولد ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ أى فى مقام المرأة الصديقة، فإن كلمة ﴿هُنَالِكَ﴾ فى النص القرآنى ظرف مكان .

وفى هذه القصة ترغيب للناس لقصد الصالحين للدعاء عندهم، أحياء كانوا أم أمواتاً، لأن الصلاح مرتبط بالروح لابالجسم، والروح باقية موجودة بعد الموت، ولهذا شرع السلام حين الدخول على المقبرة .

ومما يدل على استجابة الدعاء عند الصالحين مرافقة

١- سورة آل عمران ، الآية ٣٧ - ٣٩ .

الملائكة لـهم، وتنزلهـا علـيـهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ .[١]

ومن أسبـاب استجابة الدعـاء وجود الملائكة فى المكان، فـقد ورد فى صـحيح مـسلم طلب الدعـاء عند سمـاع صيـاح الديكة بسبب رؤيتها ملكاً.

وإستـجابة الدعاء فى مكان مـايعنى كثرة الوافـدين عليه فى أى وقت ومن أى مكـان، وإحـداث البناء خـدمـة لهـؤلاء القادمين .

(ب) إحياء سنة زيارتهم أمد الدهر، بإعـتبار أنهم رجال أدوا إلى الأجيال الـتى بعدهم خدمات جليلة مـتميزة، فـحقهم عليها باق مابقيت الأجيال، ولذلك كانت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها تأتى قـبـر عمـهـا حمـزة فـترمه لئـلا يندرس،[٢] قـال اللّه

١- سورة فصلت ، الآية ٣٠ ، ٣١ .
٢- نوادر الأصول .

تعالى ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، وقال: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)﴾، ومن الإحسان إليهم دوام زيارتهم، والترحم عليهم والترضى عنهم، ومؤانستهم .

ولهذا جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كلما كانت ليلة عائشة رضي الله عنها يزور البقيع، يدعو لأصحابه، ويشفع لهم، ويدخل عليهم البهجة والأنس والسرور، وصيغة ﴿كلما﴾ تفيد التكرار، وإذا جاز تكرار الزيارة فى كل أسبوع أو ثمانية أيام فلأن يجوز تكرارها فى كل عام من باب أولى لإنتفاء المشقة .

(جـ) فتح باب الإنتفاع الدائم بهم من حيث :

١- الزيارة، فإن زيارة الصالحين ليست كزيارة غيرهم، كما أن الصلاة عليهم ليست كالصلاة على غيرهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه زيارة الميت، والدعاء له، والترحم عليه كالصلاة عليه .(١)

١- انظر شرح الصدور للسيوطى بتصرف لوحة ٨٩ .

والصلاة على الرجل الصالح أفضل من الصلاة على غيره، حتى أفتى الإمام مالك بتفضيل التخلف عن صلاة الجماعة من أجل حضور جنازة الرجل الصالح، جاء فى العتبية: سئل مالك أى شىء أعجب إليك من القعود فى المسجد، أم شهود الجنائز؟ فقال: بل القعود فى المسجد أعجب إلَّى إلا أن يكون حق من جوار، أوقربه أو أحد ترجى بركة شهوده، [1] يريد به فى فضله فيحضره، قال ابن القاسم: ذلك فى جميع المساجد قال محمد بن رشد: وتفصيل مالك -رحمه اللّه- هو عين الفقه، إنما يرغب فى الصلاة على من يعرف بالخير، وترجى بركة شهوده، فمن كان بهذه الصفة، أو كان له حق من جوار، أو قربه، فشهوده أفضل من صلاة التطوع .[2]

والشاهد مما تقدم أن :

- فتوى الإمام مالك تدل على أن الصلاة على الصالحين أفضل

١- دليل على إنتفاع الأحياء ببركة الأموات .

٢- البيان والتحصيل ٢، ٢٢٤ - ٢٢٥ .

من الصلاة على غيرهم .

- إثر أبى هريرة ﷺ يؤخد منه أن زيارة الميت كالصلاة عليه .

(د) العلاج النفسى، فإن زيارة الصالحين تعتبر علاجاً نافعاً للإضطرابات النفسية وتوترات الأعصاب، فقد أخرج الزبير بن بكار بن محمد أنه كان أيام الحرة، ترك الأذان فى مسجد رسول الله ﷺ ثلاثة أيام وخرج الناس إلى الحرة، ثم جلس سعيد بن المسيب فى المسجد، قال أبو سعيد: فأستوحشت، ودنوت من قبر رسول الله ﷺ فلما حضرت الظهر، سمعت الآذان والإقامة فى قبر رسول الله حتى مضت الثلاث، وأقبل القوم، ودخلوا المسجد، وعاد المؤذنون فأذنوا، فتسمعت الآذان فلم أسمعه، وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة .[1]

وهذا الاثر يدل على:

- حصول الإستئناس، وزوال مظاهر القلق والخوف

١- شرح الصدور لوحة ٨٣ .

والإضطرابات النفسية، حين القرب من القبور المباركة، قال الإمام الشافعي: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب،[١] وبمثل قوله كان يقول البغداديون.[٢]

- إن الزائر للقبور والمقترب منها من جملة المنتفعين بالزيارة، وأن النفع منها لايقتصر على المزار فقط، كما يراه بعض الفقهاء .

●●●

٢- زروق على الرسالة ١،٢٨٩ .

٣- الرسالة القشيرية .

من خصائص على

١ - أول من أسلم.

٢ - أول من يرد على رسول الله ﷺ يوم القيامة:

عن سلمان رضي الله عنه قال: أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ أولها إسلاماً، على بن أبى طالب رضي الله عنه.[(١)]

٣ - الأوسع علماً.

٤ - الأعظم حلماً:

قال رسول اللّه ﷺ لفاطمة رضي الله عنها أما ترضين أن أزوجك أقدم أمتى سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً.[(٢)]

٥ - أول من صلّى من الذكور: عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنا أول من صلى مع رسول اللّه ﷺ[(٣)] ويؤيده حديث عفيف

---

١ - رواه الطبرانى ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٩، ١٠٥ .

٢ - رواه أحمد والطبرانى وفيه خالد بن طهمان وثقه أبو حاتم وغيره وبقية رجاله ثقات، المرجع السابق والجزء ١٠٤ .

٣ - رواه أحمد ورجاله الصحيح غير حبة العرنى وقد وثق، المرجع السابق والجزء ١٠٦ .

الكندى، [١] وقد صحح حديث على، أحمد شاكر فى تعليقه على المسند .

٦- زوجه سيدة نساء العالمين:

قال رسول الله ﷺ لفاطمة الزهراء رضي الله عنها ﴿يافاطمة، ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين﴾ . [٢]

٧- أبناه سيدا شباب أهل الجنة:

قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها : ﴿إن إبنيكِ سيدا شباب أهل الجنة، إلا ابنى الخالة يحيى وعيسى﴾ . [٣]

٨- أقضى الأمة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقضانا علّى . [٤]

٩- سدت أبواب الصحابة فى المسجد إلا بابه:

عن عبد الله بن الرقيم الكنانى قال: خرجنا إلى المدينة زمن

١- رواه أحمد ورجاله ثقات نفس المكان .

٢- اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان، البخارى ومسلم، رقم ١٥٩٣ .

٣- رواه الطبرانى ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٩،١٨٥ .

٤- الطبقات لابن سعد ٩،٣٣٩ .

الجمل، فلقينا سعد بن مالك بها فقال: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة فى المسجد، وترك باب علّى .[١]

١٠- بيته أوسط بيوت النبى ﷺ :

جاء رجل إلى ابن عمر، فسأله عن علّى فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبى ﷺ .[٢]

١١- أحب الخلق إلى الله :

عن سفينة رضي الله عنه قال: أهدى إلى النبى ﷺ طير، فقال: اللّهم أدخل على أحب خلقك إليك، يأكل معى من هذا الطير. فدخل علّى،[٣] والأحب لايعنى الأفضل، بدليل أن رسول الله ﷺ قال لعلّى بن أبى طالب : فاطمة أحب إلى منك .

١- رواه أحمد وإسناده حسن، مجمع الزوائد ٩،١١٧ .

٢- البخارى - الفتح - ٨،٧٤ .

٢- رواه الطبرانى ورجاله الصحيح غير قطر بن خليفة وهو ثقة، مجمع الزوائد ٩،١٢٩ .

١٢- قاتلة أشقى الآخرين:

عن علّى رضي الله عنه قال: رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يا علّى: تدرى من أشقى الأولين، قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال: عاقر الناقة قال: تدرى من أشقى الآخرين، قلت: اللّه ورسوله أعلم، قال: قاتلك.[١]

١٣- إختصاصه بأداء ديون رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ﴿على منى، وأنا منه، ولايقضى عنى دينى إلا أنا أو على﴾.[٢]

١٤- إخوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عباس أن علّياً كان يقول فى حياة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول: ﴿ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾، واللّه لانقلب على أعقابنا بعد إذا هدانا اللّه تعالى، واللّه لئن مات أو قتل لأقاتلن على ماقتل عليه حتى

١- إسناده حسن لغيره،فضائل الصحابة للإمام أحمد وهامشه رقم ٩٣٥ .

٢- إسناده صحيح فضائل الصحابة وهامشة رقم ١٠١٠ .

أمـوت، واللّه إنى لأخـوه، وابـن عـمـه ووارثه، فـمن أحق به منى .[١]

١٥- أفضل أهل المدينة:

عن عبـد اللّه بن مسـعود قـال: كنا نتحـدث أن أفضل أهل المدينة علّى بن أبى طالب .[٢]

١٦- السلامه من الخزى أبداً:

قـال رسول الله ﷺ : ﴿لأبـعثن رجـلاً لايخـزيه اللّه أبداً يحب اللّه ورسوله﴾ .[٣]

١٧- تضحيته عن رسول الله ﷺ :

عن على قـال: أمرنى رسـول اللّه ﷺ أن أضحى عنه فـأنا أضحى عنه أبداً .[٤]

١- رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ١٣٧،٩ .

٢- إسناده صحيح فضائل الصحابة وهامشه ١٠٩٧ .

٣- إسناده حسن قاله فى علّى فى وقعة خيبر، المرجع السابق ١١٦٨ .

٤- المرجع السابق ١١٩٣ .

١٨ - طلبه السؤال:

عن سعيد قال: لم يكن أحد من أصحاب النبى ﷺ يقول: سلونى إلا على بن أبى طالب .[١]

١٩ - الأخشن فى ذات الله:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: إشتكى علّياً الناس، قال: فقام رسول اللّه ﷺ فينا خطيباً، أيها الناس، لاتشكو علّياً فو اللّه إنه لأخشن فى ذات اللّه أو فى سبيل اللّه .[٢]

٢٠ - أول من نظر فى المظالم من الخلفاء.[٣]

●●●

١- إسناده صحيح، المرجع السابق رقم ١٠٩٨ .

٢- حديث صحيح مسند الإمام أحمد مع الفتح ١٢٠،٢٣ .

٣- الخطط للمقريزى ٢٠٧،٢ .

مقتطفات من أحاديث الرسول ﷺ في علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-

١- قال رسول اللّه ﷺ لعلى : ﴿أنت منى وأنا منك﴾ .[١]

٢- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: توفى رسول اللّه ﷺ وهو عن راض .[٢]

٣- قال رسول اللّه ﷺ لعلى: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى .[٣]

٤- عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعو لى عليّاً، فأتى به أرمد، فبصق فى عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح اللّه عليه .[٤]

١- البخارى - الفتح - ٨-٧٢ .

٢- نفس المكان .

٣- نفس المكان ٧٥ صحيح مسلم - النووى - ١٧٤،١٥ .

٤- صحيح مسلم ١٧٦،١٥ .

٥- عن شرحبيل بن مرة قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول لعلى: أبشر ياعلى، حياتك معى وموتك معى .(١)

٦- عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ لعلى: ﴿ياعلّى، من فارقنى فارق اللّه، ومن فارقك ياعلى فارقنى﴾ .(٢)

٧- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت أشهد أنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول من أحب علّياً فقد أحبنى، ومن أحبنى فقد أحب اللّه، ومن أبغض علّياً فقد أبغضنى، ومن أبغضني فقد أبغض اللّه .(٣)

٨- عن عمرو بن شاس الأسلمى،وكان من أصحاب الحديبية- قال: خرجت مع على -عليه السلام- إلي اليمن، فجفانى فى سفرى ذلك، حتى وجدت فى نفسى عليه، فلما قدمت

١- رواه الطبرانى وإسناده حسن، مجمع الزوائد ٩،١١٥ .

٢- رواه البزار ورجاله ثقات، المرجع السابق والجزء ١٣٨ .

٣- رواه الطبرانى وإسناده حسن، المرجع السابق والجزء ١٣٥ .

المدينة أظهرت شكايته فى المسجد، حتي سمع بذلك رسول الله ﷺ فدخلت المسجد ذات غداة، ورسول الله ﷺ جالس فى ناس من أصحابه، فلما رآنى أبدا لىَّ عينيه، يقول حدد إلىَّ النظر، حتى إذا جلست قال: ياعمرو والله لقد آذيتنى، قلت: أعوذ بالله من آذاك يارسول الله قال: بلى من آذى علّياً فقد آذانى .[1]

٩- عن أبى عبد الله الجدلى قال: دخلت على أم سلمة، فقالت لى: أيسب رسول الله ﷺ فيكم؟ قلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿من سَبَّ علّياً فقد سبنى﴾ .[2]

١٠- عن زيد بن على بن الحسين بن على عن أبيه عن جده عن على قال: أمرنى رسول الله ﷺ بقتال الناكثين،

١- رواه أحمد ورجاله ثقات، المرجع السابق والجزء ١٣٢ .

٢- رواه أحمد ورجاله الصحيح غير أبى عبد الله الجدلى، وهو ثقة المرجع السابق والجزء ٣٣ .

والمارقين والقاسطين .[١]

١١- عن على قال: علمنى رسول الله ﷺ ألف باب، كل باب يفتح ألف باب .[٢]

١٢- عن الشعبى قال: رأى أبو بكر علياً رضي الله عنه فقال: من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة من رسول الله ﷺ وأقربه قرابة، وأفضله دالة، وأعظمه غناء عن نبيه فلينظر إلى هذا، فبلغ علياً قول أبى بكر، فقال: أما إذا قال ذاك فهو إنه لأواه، وإنه لأرحم الأمة، وإنه لصاحب رسول الله ﷺ فى الغار، وإنه لأعظم الناس غناء عن نبيه فى ذات يده .[٣]

١٣- عن أبى ذر رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، فقال: «والذى نفسى بيده، إن فيكم رجلاً يقاتل الناس من بعدى على تأويل القرآن، كما قاتلت

١- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للهندى، رقم ٣٦٣٦٧

٢- فيه الأجلح أبو حجمة قال فى المغنى صدوق شيعى جلد- المرجع السابق رقم ٣٦٣٧٢ .

٣- المرجع السابق، وقم ٣٦٣٧٥ .

المشركين على تنزليه﴾، [١] وفى رواية أحمد، فأستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر، فقال: لا، ولكنه خاصف نعلى، [٢] وتقدم فى بدايته أن علّياً قام على النعل يخصفه .

١٤- عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علّى بالرحبة، فقالوا السلام عليك يامولانا: فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب، قالوا: سمعنا رسول اللّه ﷺ يوم غدير خم يقول: إن كنت مولاه فهذا مولاه، فلما مضوا تبعتهم، فقلت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار، فيهم أبو أيوب الأنصارى . [٣]

١٥- عن ذؤيب أن النبى ﷺ لما حضر قالت صفية: يارسول اللّه لكل أمرأة من نسائك أهل تلجأ إليهم، وإنك أجليت أهلى، فإن حدث حدث فإلى من؟ قال: إلى علّى بن أبى طالب. [٤]

١- المرجع السابق رقم ٣٦٣٤٧

٢- رواه أحمد ورجاله الصحيح، المرجع السابق والجزء ١٣٦-١٣٧ .

٣- رواه أحمد ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٩،١٠٧ .

٤- رواه الطبرانى ورجاله الصحيح، المرجع السابق والجزء ١١٦ .

١٦- عن أم سلمة قالت: كان رسول اللّه ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا على .(١)

١٧- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دفع رسول اللّه ﷺ الراية إلى على بن أبى طالب وهو ابن عشرين سنة .(٢)

١٨- عن أبى سعيد قال: قال رسول اللّه ﷺ ياعلى معك يوم القيامة عصا من عصا الجنة، تذوذ بها المنافقين عن حوضى .(٣)

١٩- قال رسول الله ﷺ عن أهل بدر -بما فيهم على- لعل اللّه قد أطلع على أهل بدر، فقال: أعملوا ماشئتم .(٤)

٢٠- عن على رضي الله عنه قال بعثنى: رسول اللّه ﷺ إلى اليمن،

١- رواه الطبرانى وفيه حسين بن حسن الأشقر، وثقه ابن حبان وبقية رجاله وثقوا، المرجع السابق والجزء ١١٩ .

٢- رواه الطبرانى وإسناده حسن، المرجع السابق والجزء ١٢٨ .

٣- رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سلام بن سليمان المداينى وزيد العمى، وهما ضعيفان وقد وثقا وبقية رجاله ثقات ، المرجع السابق والجزء ١٣٨ .

٤- حديث صحيح مسند الإمام أحمد - الفتح - ١١٩،٢٣ .

وأنا حديث السن، قال: قلت تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث، ولاعلم لى بالقضاء! قال: إن الله سيهدى لسانك، ويثبت قلبك، قال: فما شككت فى قضاء بين أثنين بعد . (١)

إلى غير هذا من الأحاديث الكثيرة التى تشيد بالخليفة الراشد على بن أبى طالب رضي الله عنه وبمقامه الرفيع، زاده الله رفعة ورزقنا محبته ومجاورته يوم الدين، وشفعه فينا يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

كتبه

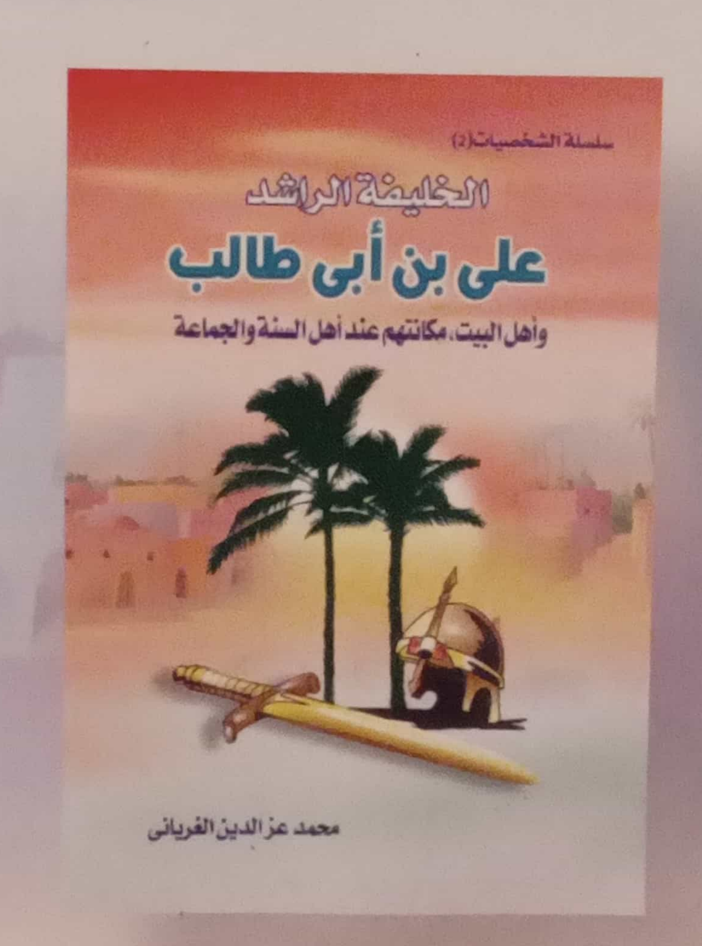
محمد عزالدين الغريانى

---

١ - قد أورد الحاكم الحديث فى المستدرك عن أبى البخترى وصححه، وأقدره الذهبى، مسند الإمام أحمد مع الفتح ٢٣،١٣٢-١٣٣ .

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية
٤٣٢٦ / ٢٠٠٢
الوكالة الليبية للترقيم الدولى الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازى - ليبيا
ردمك ٦-٢٥٨-٢٢-٩٩٥٩ ISBN

الطبعة الأولى


سلسلة الشخصيات (٤)
الخليفة الراشد
على بن أبى طالب
وأهل البيت، مكانتهم عند أهل السنة والجماعة
محمد عز الدين الغرياني